العرب
السبت 2021/09/04
السنة 44 العدد 12169

فنان سوري يتعامل مع التمثيل بروح الهاوي

تيسير إدريس: التلفزيون يستهلك طاقة الممثل والمسرح يجدّدها

تتداخل المجالات الإبداعية عند أهل الفن، ولكن حدودا وعوالم نفسية عميقة تبقى حاضرة بقوة تميّز أحدها عن الآخر، فما يعاش ويقال في المسرح يكون مختلفا عن السينما والتلفزيون وما يشاهد هنا لا يمكن الإحساس به هناك. عن هذه التمايزات يحدّثنا الفنان تيسير إدريس صاحب الحضور الفني الطويل في الفن السوري.

نضال قوشحة
كاتب سوري

دمشق – عبر سنوات تتجاوز الأربعين عاما قدّم الفنان السوري تيسير إدريس (1954) أدوارا مختلفة في كل فنون الدراما، ويمتلك حضورا خاصا في طريقة أدائه بصوته الجهوري وتقاسيم وجهه الحادة.

دخل مجال الفن المسرحي من خلال الفنان عبدالرحمن أبوالقاسم الذي علّمه أول أبجديات التمثيل عندما كان طالبا في المرحلة الثانوية بدمشق، لكن بداية العمل الاحترافي كانت مع الفنان زيناتي قدسية من خلال مسرحية "وجوه عبر الموت" عام 1970. ثم تتلمذ على يديْ الفنان المسرحي يوسف حنا الذي يعتبره أباه الروحي.

عشق خاص للخشبة

قدّم إدريس في المسرح العشرات من الأعمال كان أحدثها مسرحية "الأميرة والصعلوك" للكاتب ألفريد فرج وهي من إخراج حسين أدلبي، ومن أعماله المسرحية: "رحلة حنظلة من الغفلة إلى اليقظة" و"الدراويش يبحثون عن الحقيقة" و"جسر آرتا وإيزابيل" و"ثلاثة مراكب ومشعوذ" و"حكاية بلا نهاية" و"عريس بنت السلطان" و"بيت الدمية" و"ليالي الحصاد" و"في انتظار غودو".

رفض مدة ثلاثة عشر عاما العمل في التلفزيون، وكان يعتبر العمل فيه فنا من الدرجة الثانية، لكن معلمه يوسف حنا أقنعه بالعمل في الدراما التلفزيونية وهذا ما كان.

قدّم في السينما العديد من الأفلام، بدأت في العام 1977 من خلال "الأبطال يولدون مرتين" مع صلاح دهني، ثم مشاركة مع محمد ملص في فيلم "الليل" ولاحقا "محارم محارم"، وقدّم مع عبداللطيف عبدالحميد دوره الأشهر الأديب صباح الذي يصارع الحياة بهدوء وعناد في فيلم "صعود المطر"، والذي نال عنه جائزة أفضل ممثل في مهرجان دمشق السينمائي في دورته التاسعة عام 1995.

كما قدّم دورا هاما في فيلم "بوابة الجنة" الذي يستحضر القضية الفلسطينية، للكاتب حسن سامي يوسف والمخرج ماهر كدو، ثم شارك ريمون بطرس في فيلمه القصير "أطويل طريقنا أم يطول؟"، وحديثا قدّم دورا في الفيلم القصير "إنه عالم جميل" للمخرج الشاب رامي نضال حميدي.

أما تلفزيونيا فقدّم العشرات من الأدوار، كان أحدثها دوره في مسلسل "فتح الأندلس" الذي صوّر في بيروت، وهو ينتمي إلى شريحة الأعمال الضخمة، ومن إخراج محمد سامي العنزي. كما قدّم من المخرج الشهير هيثم حقي شخصية متميزة في مسلسل "الدوغري" هي المحامي اليساري "برهان" الذي يكافح ضد قوى الرجعية.

ويرى إدريس أن فن التمثيل "يعني أن يتخلّص الفنان من كينونته ويدخل في تلابيب الشخصية التي يعمل عليها، فيكونان روحا واحدة جديدة.

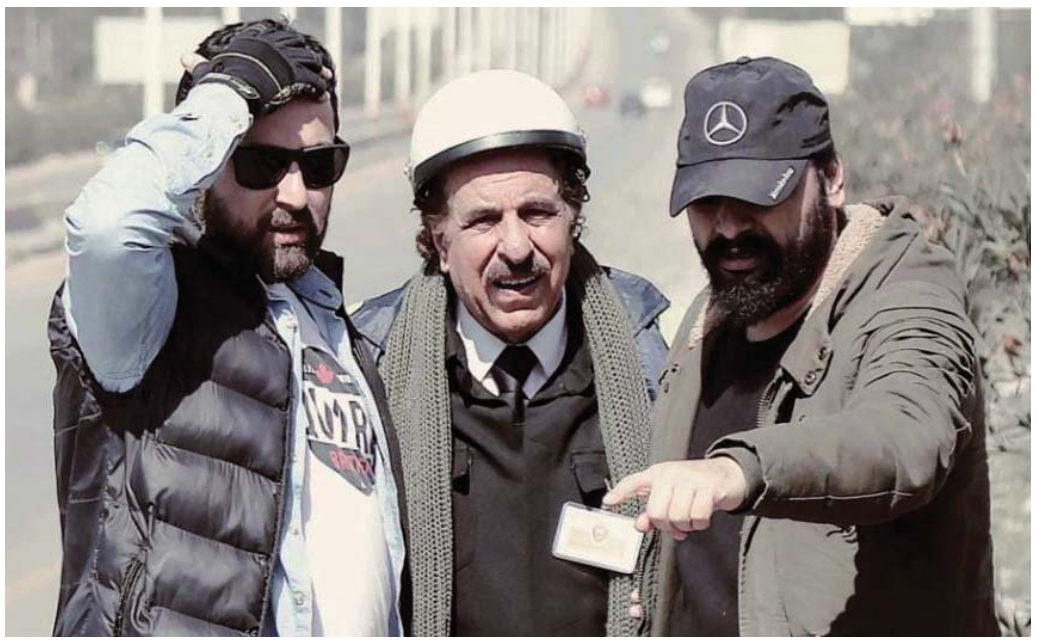

«شارع شيكاغو» أحدث مشاركات إدريس في الدراما

والممثل يكون أفضل كلما تعمّق أكثر في دراسة الشخصية ودخل في ثناياها وتفاصيلها، وهذا ما يعني اقترابا أكثر من جوهرها، وبالتالي تقديمها بشكل يحمل مصداقية أكبر".

ويضيف "فن التمثيل ليس مجرد تلفّظ بحوارات تخصّ شخصيات محددة في ظروف معينة، بل هو وعي كامل بالشخصية، ومن ثم تملّك كل ظروفها وطباعها وتفاصيلها ثم التحرّك ضمن منظومتها الفكرية والنفسية".

وعن علاقته الاستثنائية بالمسرح يقول "عندما كنت نشطا في مجال المسرح، كنت أرفض العمل في التلفزيون، وأعتبره عملا من الدرجة الثانية، وكنت أرفض أي توجه للعمل فيه، ومع مرور الوقت واكتساب المزيد من الخبرة والحكمة وتحت توجيه أستاذي يوسف حنا وبعد ثلاثة عشر عاما من الامتناع عن العمل في غيره، توجهت إلى العمل التلفزيوني، وهي تجربة غنية لا شكّ في ذلك، لكنها بعيدة عن الهوى الخاص الذي أحمله للمسرح".

وهو يرى في المسرح فضاءات وتحديات لا يمكن أن تكون إلاّ فيه، وقد استشهد بحادثة وقعت له في اليابان قائلا "في مسرحية 'في انتظار غودو' التي عرضناها في اليابان اختفئ صوتي تماما في يوم العرض نتيجة طارئ صحي، وكان علينا إيجاد حل فوري، فقدّمت العرض صامتا دون حوار وبالدلالات الصوتية المضمرة وإيماء الحركة. ونجح العرض، وفي اليوم التالي تحدّثت الصحافة في اليابان عن العرض الذي تم رغم أن الممثل فقد صوته".

دور مرجعي

على سطح منزل دمشقي وتحت إدارة المخرج عبداللطيف عبدالحميد قدّم تيسير إدريس مشهدا خالدا، وهو يرقص تحت المطر في فيلم "صعود المطر" مصحوبا بموسيقى علي الكفري. وهو الدور والمشهد اللذان نال عنهما جائزة أفضل ممثل في مهرجان دمشق السينمائي في العام 1995.

يتحدّث عن تلك التجربة وحنينه إليها قائلا "كنت أعي أن هذا الفيلم يحمل أجواء استثنائية وخاصة في مشهد الرقص، وكنت قد تدرّبت على أداء رقصة محددة لمدة طويلة مع الراحلة لاريسا عبدالحميد، لكنني عند تنفيذ المشهد الذي رافقني فيه المؤلف الموسيقي علي الكفري بالعزف الحي شعرت بأن ما كنت تدرّبت عليه بعيد عن تصوّري الأول لشكل الرقصة، فطلبت من المخرج أن أقوم بذلك التغيير فوافق وفعلت، وقدّمنا المشهد بحالة وجد عميقة بين موسيقى الكفري ورقصي والمطر الذي كان ينهمر علينا بغزارة على سطح ذلك البيت الدمشقي، وكان مشهدا آسرا ما زال الناس يتذكّرونه بالكثير من التقدير".

وخلال مشواره الفني كان منطلق إدريس مبنيا على الانتصار للمسرح على حساب التلفزيون، وعن ذلك يقول "في المسرح أحسّ بمتعة النجاح الفوري، وهذا يعطيني حالة من البحث في الدور لصنع الدهشة في داخلي قبل الجمهور. أشعر أنه لا رقيب عليّ في المسرح سوى أنا والجمهور الذي أقدّم له العرض. وهذا ما لا أجده في التلفزيون الذي تكون فيه السلطة للمخرج، ممّا يُشعرني أنني منفّذ ولست ممثلا، وهو ما كنت أرفضه ومازلت أرفضه حتى الآن".

ويوضّح "هناك ممثلون تخلّصوا من سلطة المخرج التلفزيوني نتيجة النجومية الكبيرة التي تحققت لهم. أنا مازلت أرى أن الممثل لا يكون ممثلا إلاّ على المسرح، فهو إبهار قبل كل شيء؛ في المسرح هناك مساحة للعمل على شخص الممثل أكثر من التلفزيون، وأجد أن السينما أقرب إلى المسرح في هذه المنطقة، أما التلفزيون فيستهلك طاقة الممثل الإبداعية مهما كان بارعا، وهو يعتمد أساسا على الحضور والكاريزما، لذلك تجد نجوما في التلفزيون لا يعرفون التمثيل حقيقة".

تيسير إدريس

في السينما وجدت السحر والدهشة وفي المسرح تعلّمت الارتجال

ويتابع إدريس "الممثل في المسرح يتعب كثيرا في البحث عن تفاصيل شخصيته التي سيلعبها من الناحية الفيزيولوجية والنفسية. وعمق المسرح ورائحة خشبته تعطيان طاقة لا يمكن أن تشعر بها في أي مكان آخر؛ يحسّ الممثل فيه بالفرح والمتعة لأنه يعلم أن الشخصية التي يعمل عليها هو من خلقها ودخل روحها وهو يعرف كيف تحكي وتفكّر، وهذا شيء يحقّق له المتعة والسرور، في المسرح تشعر بأنك في برلمان شعبي حقيقي".

ويتحدّث إدريس بحميمية عن فن المسرح وعلاقته به كهاو حتى اليوم رغم مرور عقود على احترافه له، فيقول "كنت دائما أقول إن المعلم والحضن الأول هو المسرح، نحن انطلقنا من العمل فيه ونحن هواة، أساتذتي في المسرح يوسف حنا وفواز الساجر وجواد الأسدي، علمونا أن الهواية في المسرح ضرورية وحاسمة، وأنا مازلت أعمل بروح الهاوي خاصة في نشاطي المسرحي. لأنه يجعلني أقرب إلى حيثيات وتفاصيل العمل الأولية. في الفن الناجح مساحة كبرى لروح الهاوي التي لا يجب على المحترف إلغاؤها مهما بلغت حرفيته، هذا رأيي ونهجي الذي أعمل عليه وسأبقى أعمل عليه".

ومع ذلك يعترف الفنان السوري المخضرم بأن السينما حقّقت له المتعة والعمق والدهشة والسحر، موضحا "في السينما شعرت بالإحساس ذاته الذي راودني في المسرح، وكأنها العالم السحري الذي كان أجدادنا يبحثون عنه، أحببت التمثيل في السينما، وكنت أعتقد أنني سأحقّق فيها حضورا طاغيا، لكنني للأسف رغم إخلاصي في العمل فيها إلاّ أنني لم أحقّق ما كنت أطمح إليه، وما حقّقته فيها لا يتجاوز الخمسة في المئة من طموحي الكلي".

إدريس يعتبر المسرح بمثابة البرلمان الشعبي للممثل

«هلاوس» رؤية مسرحية صامتة لـ«تاجر البندقية» بخيال مصري

القاهرة – أتقن المخرج المصري محمد عبدالله فن الأداء الحركي الصامت أو ما يعرف بـ"المايم" و"البانتومايم"، مؤمنا بقدرته في يوم ما على تقديم عرض مسرحي طويل يجذب الجمهور إلى هذه النوعية غير الشائعة من العروض، لكن نجاح عرضه المسرحي "هلاوس" (هلوسات) فاق كل توقعاته.

العرض مدته ساعة من الزمن وهو قائم بالكامل على الأداء الحركي الصامت لتسعة من الممثلين الشبان، مع توظيف مميّز للموسيقى التي أعدّها عبدالله أيضا من مقطوعات عالمية للعمل المأخوذ عن رائعة الكاتب الإنجليزي وليام شكسبير "تاجر البندقية" مع ربط دقيق بين الماضي والحاضر.

ويسلّط الضوء في بداية المسرحية على مؤلف يجلس بمكتبه في ركن قصي من المسرح، يبدو أنه يكتب نصا جديدا مستوحى من المسرحية الإنجليزية الشهيرة، وفي ذهنه الفرقة المسرحية التي ستقدّم رؤيته المعاصرة للعمل. لكن رويدا رويدا يبدأ القديم في الاشتباك مع الحديث داخل رأسه وتتداخل الأحداث حتى تتحوّل أفكاره إلى هلوسات تخرج عن السيطرة فيحاول إعادة كتابة النص من جديد.

ورغم تركيز العرض على معاني الحب والكره والصداقة والغيرة واستناده إلى نص أدبي عالمي لم تغب عنه روح الفكاهة التلقائية التي تجسدت بأداء حركي سلس وسريع على المسرح.

ويركز العمل أيضا على أربع مدارس تمثيلية وهي المسرح الجسدي والمايم والبانتومايم والمسرح الأسود، حيث يعتمد العرض بشكل كبير على الإمكانيات الجسدية للممثلين بدلا من الحوار المسرحي عبر تجربة استثنائية مختلفة عن العروض المسرحية العادية، في إبراز للعلاقات الإنسانية بشكل أكبر وهو ما يركّز عليه فن المايم في المطلق.

ويقول مخرج العمل "همي أن أقدّم عرضا مختلفا يناقش علاقات مهمة مثل الصداقة والحب وكيف تتواجد داخل دائرة صراع واحدة".

وقال عبدالله بعد تقديمه العرض على مسرح الهناجر بساحة دار الأوبرا المصرية "فكرة العرض تشغلني منذ اثني عشر عاما، لكنها كانت تحتاج إلى إنتاج كبير ومسرح مجهز وهو ما لم يتوفر في السابق، لكن في فبراير الماضي قدّمت فكرتي إلى مسرح الدولة ووجدت دعما كبيرا من زملائي إلى أن حصلت على الموافقة".

وأضاف "عرض صامت معناه أن الصورة والموسيقى معا هما البطل الرئيسي للعمل، وهي نوعية غير شائعة في مسرحنا. لكن من حسن حظي أن دعّمني المهندس عمرو عبدالله أحد أهم مصممي الديكور والإضاءة في مصر، وكذلك الإضاءة للأستاذ أبوبكر الشريف الذي عمل في السابق مع الفنان يحيى الفخراني وغيره من كبار الممثلين".

وعن سبب تسمية العرض بـ"هلاوس" قال عبدالله "هي كلمة مصرية دارجة بعض الشيء، ولكنّ لها معنى كبيرا، فالهلاوس أو الهلوسات موجودة دائما وأبدا في حياتنا الشخصية أو العملية في جانب غريب لا يعرفه أحد، كل جوانب حياتنا بداخلها هلوسات فعلية، فالهلوسة من الممكن أن تكون في شكل حلم أو واقع أو تخاريف كلام نريد أن نقوله، ولا يمكن لأي شخص رؤيتها أو معرفتها، وهو ما نناقشه داخل العرض".

وأشار عبدالله، الذي تعلم فن المايم على يد أحمد نبيل رائد هذا الفن في مصر، إلى أنه لولا وجود مركز الهناجر للفنون الذي تأسّس في تسعينات القرن الماضي لاحتضان إبداعات الشبان لما خرج هذا العمل إلى النور.

وفي سبيل إنجاح فكرته عمل المخرج الشاب -الذي تخرّج في كلية الحاسبات والمعلومات قبل أن يسلك طريق الدراسات المسرحية الحرة- على تشكيل فريق يجمع بين فناني المسرح التقليدي وآخرين يجيدون فن المايم.

وقال "إخراج العروض الصامتة يختلف عن إخراج العروض العادية، لأن طريقة تحرّك الممثل الصامت تختلف عن طريقة تحرّك الممثل المتكلّم، الفرق أنني أسعى لإظهار كل مواهبه وكيف يقدّم حركة أكثر تعبيرا عمّا بداخله، فأنا أتعامل مع حواسه".

وأضاف "هو عرض مسرحي متكامل يحمل الكثير من فنون الأداء والمسرح، لكني أردت تقديم رسالة لكل فناني المسرح الجسدي والمايم بأن يكملوا مسيرتهم دون يأس، فرغم المعوقات الكثيرة التي اصطدمت بها بجانب مفردات التجربة الكثيرة تمكّنت من كسر الحواجز وتقديم هذا العمل ليظهر بالشكل الذي ظهر عليه".

محمد عبدالله

عرض صامت معناه أن الصورة والموسيقى هما بطلا العمل

وشارك في تقديم العرض كل من عمر عز وعبدالله سلطان وعبدالرحمن القاضي ونسمة عادل ومعتصم شعبان وجورج فوزي ومصطفى حزين وريم عصام وأميرة إبراهيم.

وأشار عبدالله إلى أن الجمهور تفاعل مع العرض بشكل تصاعدي أكسب الفنانين يوما بعد يوم ثقة أكبر في ما يقدّمونه من قوالب مسرحية، بينما يظل أكثر موقف عالق في ذهنه هو ما حدث مع مشاهد جاء من مكان بعيد واكتشف بعد حجز تذكرة الدخول أن العرض صامت فغضب كثيرا. لكن عقب إسدال الستار تقدّم مبتسما نحو أعضاء فريق العمل وطلب التواصل معهم بشكل دائم لإطلاعه على كل العروض الصامتة القادمة.

البانتومايم هو نوع من فن التمثيل الصامت المؤدّى من قبل فنان أو مجموعة فنانين على خشبة المسرح، بغرض التعبير عن الأفكار والمشاعر والآراء عن طريق حركة الجسم الإيحائية فقط.

ويعود أصل كلمة البانتومايم إلى اللغة اليونانية، وهي مشتقة من كلمتين "بانتو" وتعني الانبهار و"مايم" وتعني يقلّد، وبجمع الشقين يكون الحاصل: الانبهار من التقليد. لكن المتعارف عليه أن من يؤدّي هذا النوع من الفن يسمى "الفنان الإيحائي".

والبانتومايم له تاريخ طويل، حيث عرفه في البداية المصريون القدامى؛ فإذا لم يحضر الملك المعركة يقوم بهلوانات البلاط بالتمثيل الصامت أمامه ليشرحوا له المعركة، وذلك عن طريق تأدية حركات تقليد ورقصات بغرض التعبير. لكن هذا الفن عرف أكثر على أيدي اليونانيين الذين طوّروه وقاموا بتأديته على المسرح عن طريق عروض كبيرة ثم تتطوّر إلى استخدام الآهات. غير أن هذا النوع الأخير أثار استهجان الجماهير للأصوات المزعجة، فعاد الأداء مرة أخرى إلى رونقه الصامت.

الكلمة للجسد